

اسم المقال: جدليات النسق وسمائيات الثقافة: قراءة ثقافية في ضادية ابن زيدون
اسم الكاتب: عامر سلمان أبو محارب
رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/9440>
تاريخ الاسترداد: 2026/04/10 17:10 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>





جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة



جدليات النسق وسمائيات الثقافة:

قراءة ثقافية في ضادية ابن زيدون

عامر سلمان أبو محارب⁽¹⁾

تاريخ القبول: 2023-12-25

تاريخ الاستلام: 2023-10-17

ملخص البحث:

تحاول هذه القراءة أن تكشف عن الأنايم النصية والمفاتيح النسقية التي تلتئم عليها بنى ضادية ابن زيدون، بوصفها نصاً ثقافياً، وقصيدة مراوغة، تتوسل بالعتاب حيلةً نسقيةً في إنجاز الخلفية الأيديولوجية التي توطر فكر الشاعر، وقد انحصر مسار هذه القراءة في محورين اثنين متعاضدين هما:

محور مفاهيمي ينظر لمعنى النقد الثقافي والسمائيات الثقافية في ظلال النظرية النقدية المعاصرة

ومحور إجرائي يجلي الأنساق الثقافية وإشاراتها السيمائية في القصيدة المدروسة، بوصف الخطاب الشعري في هذه القصيدة إنما يجيء ليمثل تعبيراً عن التجربة الإنسانية التي تخوضها الذات الشاعرة في مواجهة الآخر السلطوي، وعلى اعتبار أن هذا النص الشعري إنما يمثل نوعاً من الرد بالكتابة والمباوحة والمقاومة، وذلك وفقاً للعناوين الآتية:

- المدارية الأولى: مركزية الأنا وإيقاعات التحدي، وتمثلها الأبيات (1 - 9).
- المدارية الثانية: مراوغات والعتاب المخاتل، وتمثلها الأبيات (10 - 19).
- المدارية الثالثة: الذات وتقويض الآخر، وتمثلها الأبيات (20 - 28).
- المدارية الرابعة: تمثيلات الوفاء وطقسية النبذ، وتمثلها الأبيات (29 - 40).

الكلمات الدالة: السيمائية الثقافية، النقد الثقافي، ابن زيدون، ضادية ابن زيدون.

(1) كلية الآداب - الجامعة الهاشمية (الزرقاء - الأردن)

المقدمة:

تحاول هذه الدراسة تقديم قراءة ثقافية فاحصة في قصيدة الشاعر الأندلسي ابن زيدون "أثرت هزبرَ الوري إذ ربض..."، انطلاقاً من منهجية مركبة لحمتها القراءة الثقافية/ Cultural reading، وسداها السيميائيات الثقافية/ Cultural Semiotics، بغية محاورة النصّ، وسبّره، والنفاد إلى دواخله، والقبض على بناء العميقة المتوارية في أعماقه

وقد انتخبت الدراسة ضادية ابن زيدون بوصفها نصّاً ثقافياً مراوفاً، يجعل العتاب المخاتل حيلةً نسقيةً لإثبات فحولة الذات، ونسقيتها، وتأكيد مركزية حضورها الفاعل، والكشف عن العمى الثقافي الذي يوطر عالم السلطة وتجاذباتها

وتؤمن الدراسة عبر مسارها القرائي أن قصيدة ابن زيدون، لا تدخل في سياق العتاب المحض أو التحدي فحسب، وإنما تنطلق من رؤية ترسخ حضور الذات في القصيدة، وحضورها الثقافي والسيميائي في الحياة، عبر تقويض الآخر، باستثمار العتاب المخاتل/ المراوغ، وطقسية النبذ، وتمثيلات الوفاء، وبذلك فإنّ هذا المسار لا يؤمن ببراعة الجمالي، بل يرى أن النصّ مراح للرؤية الأيديولوجية كذلك

وهكذا حاولت الدارسة أن تبيّن مظاهر مركزية الذات وتحولات السلطة ومحنة الإقصاء التي مرّ بها الشاعر / ابن زيدون، في الأبنية السيميائية والأنساق الثقافية التي انتظمت هذه القصيدة، وبخاصة في ضوء توتر علاقتها مع الذات المناوئة والمختلفة/ ابن عبدوس، وتحولات ولادة بنت المستكفي عنه إلى الآخر

والمقولة التي تروم هذه القراءة فحصها أنّ هذه القصيدة تتكوّن من أربع مداريات نصية، وتكوّن هذه المداريات بنى نسقية وسيميائية تتعالق وتجربة الشاعر، الذي يكابد قلق اللحظة في صراعه مع السلطة/ ابن عبدوس

إنّ هذه القراءة تجتهد في تأكيد افتراض مؤداه أنّ ضادية ابن زيدون تتوسل بالعتاب، بوصفه عتية نصية، حافلة بالإشارات السيميائية الدالة على الخطاب التهديدي، التي لا تنفصل عن السياقات الثقافية التي أنتجت هذه القصيدة في أونها

وفي هذا السياق تمثل ضادية ابن زيدون قصيدة الصوت الارستقراطي الذي يتعرض لمحاولة التهميش، فيتخذ العتاب بوصفه قيمة إشارية، واللغة الخاصة بما هي بناء دلالي يشي بفحولة الشاعر، والقافية النافرة مؤشراً على جذقه لصناعة الشعر...، وهذه جلّها عتبات نصية وإشارات سيميائية تعين الشاعر لمواجهة السلطة التي يمثلها ابن عبدوس/ الوزير

- وقد تأطرت الدراسة الراهنة في مبحثين متكاملين يتعاضدان فيما بينهما، وهما:
- الأول وقد جاء بعنوان: (تشديد نظري: في السيميائية الثقافية: تكوين تأسيسي).
- والثاني، وقد جاء بعنوان: (جدليات النسق وسيميائيات الثقافة: قراءة ثقافية في ضادية ابن زيدون)، واشتمل على:
- المدارية الأولى: مركزية الأنا وإيقاعات التحدي، وتمثلها الأبيات (1 - 9).
- المدارية الثانية: مراوغات الخطاب والعتاب المخاتل، وتمثلها الأبيات (10 - 19).
- المدارية الثالثة: الذات وتقويض الآخر، وتمثلها الأبيات (20 - 28).
- المدارية الرابعة: تمثيلات الوفاء وطقسية النبذ، وتمثلها الأبيات (29 - 40).

وأخيراً فقد برهنت هذه الدراسة على تهافت قول من قال: إنَّ الأوّل ما ترك للأخّر شيئاً، وأكدت أن النصّ حمّال أوجه ومتكوّن الدلالات، وأنّ كلّ قراءة جديدة للنصّ هي قراءة مُمكنة ومشروعة، فالنصّ بنيةً منفتحةً على عددٍ كبيرٍ من محاولات التلقّي والتأويل

1.1 تشديد نظريّ تأسيسيّ: في السيميائية الثقافية.

تتجلى شعريّة الخطاب ومراوغاته في ضوء القراءة الثقافية في تمظهرات نصيّة، أقنومها لغته المتوترة، وأبنيته المراوغة؛ إذ يمتلك الخطاب الإبداعيّ قدرةً فائقةً على توليد الأنساق الثقافية، التي تتخذ الجماليّ والبلاغيّ قناعاً، لتضمّر المُختلف والأيديولوجيّ وسوى ذلك مما يخرق أفق التوقّع.

وفي هذا السياق تتعدّ الواسمات الواصفة للنقد الثقافيّ، عبر تداخله المنهجيّ مع مباحث تمتح من المدارس النقديّة المختلفة، فينشأ من ذلك نقدٌ عابرٌ للتخصصات/ Interdisciplinary Studies (البازعي، 2013)، وهو ما تؤكد عليه إين أنغ إذ ترى أنّ النقد الثقافيّ عبر سيرورته الممتدة، غداً ذا علاقة لا يمكن نكرانها بالسيميائية، والأسلوبيات، والميديا، والدراسات الفلميّة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، واللسانيّات، والأنثروبولوجيا، ونظريّات الفنّ، والتاريخ، وعلم النفس، والاقتصاد، والسّياسة (أنغ، 2009).

ولا يمكنُ للناقد أن يشرع في التأسيس النظري للسميائيات الثقافية/Cultural Semiotics، دون الإحاطة بجذور نشأتها الأولى في سياق الدرس النقدي المعاصر، فقد تجلّت "السميائيات الثقافية" في الغرب بظهور عدد من النقاد الذين أنجزوا مدونة من الدراسات الجادة، والأمثلة هنا تتدّ عن الحصر، وبحسب الدراسة أن تنتخب كتابات من صنف ما كتبه:

- آرثر أيزا برجر/ Arthur Asa Berger، في كتابه Cultural Criticism: A Primer of Key Concepts "Arthur Asa Berge, 1955".
- يوري لوتمان/ Yuri Lotman في كتابه Culture, Memory and History: "Essays in Cultural Semiotic "Juri Lotman and Marek Tamm, 1995".
- آنا ماريا لوروسو/ Anna Maria Lorusso في كتابها Cultural Semiotics: For a Cultural Perspective in Semiotics "Anna Maria Lorusso, 2015".

وفي سياق رصد التفاعل المنهجي بين السيميائية والنقد الثقافي يقول آرثر: "وسّع النقاد الثقافيون في السنوات الأخيرة اهتمامهم بالصور، وهم الآن يتحدثون عن ظاهرة التمثيل" (Arthur Asa Berge, 1955)، إذ بدا أن النقاد الثقافيين مشغولون بأسئلة الثقافة والمجتمع، بل في الأنظمة الاجتماعية والسياسية التي توجد فيها هذه الصور؛ ولذا فإن النقد الثقافي ينظر في أمور، مثل: من يخلق الصور؟، ومن يتحكّم في صناعة الصورة في المجتمع؟" (Arthur Asa Berge, 1955).

ويرى ميير هورد أبرامز/ Meyer Howard Abrams أن السيميائية والدراسات الثقافية تتراحم في مرامها البحثي والمنهجي؛ إذ يؤكد أن السيميائي الفرنسي رولان بارت يعدّ من أوائل المنشغلين بالدراسات الثقافية الحديثة من خلال كتابه (أساطير)، الذي انكبّ فيه على تحليل الأعراف الاجتماعية والرموز المختلفة في الممارسات الاجتماعية، مثل: أزياء المرأة، والمصارعة.. إلخ (M. H. Abrams, 1999).

وفي هذا الاتجاه يُقام أسُ سيميائيات الثقافة على "دراسة العلاقة بين اللغة بوصفها علامات سيميائية دالة على أثار ثقافية، والثقافة بوصفها مرجعية تتسلّل بجيئها داخل الخطابات" (يوسف، 2015)، وهو ما يعضّده بنكراد بقوله: "فالأصل في الحياة هو ما يبنى في الثقافة" (بنكراد، 2018)

إن السيميائيات الثقافية / Cultural Semiotics تحاول في إحدى تجلياتها إبراز التحولات التي تنقلب من خلالها وظيفة النص الشعري من الإمتاعية النفعية إلى الأيديولوجية، التي تؤسس لصوت الخطاب المضاد / Counter-Discourse عبر فحص شفراته النصية، وتفكيكها / Decoding، وهي -وفقاً لسعيد بنكراد- أداة لقراءة الكون والثقافة والمجتمع "فالسيميائيات تهتم بكل مجالات الفعل الإنسانية: إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءاً بالانفعالات البسيطة ومروراً بالطقوس الاجتماعية، وانتهاءً بالأنساق الأيديولوجية الكبرى" (بنكراد، 2012)

وإذا كانت السيميائية تلتقي مع النقد الثقافي، فلا مندوحة من الإشارة إلى أن معاهد السيميائية تتأسس في ضوء التأسيس النقدي الغربي، على فكرة البحث في الشفرات النصية، والعلامات، ومضمرات الخطاب، وما يتعلق بذلك من البحث في الخطاب، والشعرية، والبنى الاجتماعية، وتمثيلات الأيديولوجيا، وهكذا فإن السيميائية تقارب النص من منظور مختلف، يبحث في ماورائيات اللغة، والشفرات الثقافية، وطقوسية النصوص، وعلاقاته الداخلية المتواشجة، بوصف الثقافة نظاماً Culture as System أو نصاً Culture as Text.

ويقترح يوري لوتمان النظر إلى النص باعتباره بنية معقدة من الشيفرات والمضمرات، التي تتأطر في هيئة خطاب متوتر، تتشكل بنيته من توازيات وتكرارات وتقاطبات (يوسف، 2015)، فقد ولت اللحظة التاريخية التي كانت وظيفة النقد فيها "الاهتزاز طرباً لجمال المجاز والتخييل" (يوسف، 2015)، وتبعاً لذلك فإن المهمة الجديدة التي ينبغي للنقد أن ينهض بها هي ذاتها ما يمكن للنقد الثقافي والسيميائية أن ينهضا به، فهو أي النقد الثقافي يبحث في المضمرات التي تتخفى في إطار الجمالي المجازي، الأمر الذي ينطبق على السيميائية التي غدت "نقداً أدبياً غيرت البنيوية صورته، وجعلته مشروعاً أكثر ضبطاً وأقل انطباعية" (يوسف، 2015).

وإذا كانت السيميائية الثقافية قد استوت على سوقها مع لوتمان، فلعلّ الواجب يقضي بالإشارة إلى أنها تمثل لديه أرضاً غير معروفة، وهذا ما عبّر عنه أليكسي سيمينينكو / Aleksei Semenenko، ذلك أن نظريته ما تزال نظرية هامشية (Aleksei Semenenko, 2012).

ويمكن القول: إن لوتمان فطن "إلى أن النظر إلى النص باعتباره رسالة مبنية وفق سنن لساني ما، ليس هو بتأناً، النظر إلى النص (الثقافة باعتبارها نسفاً مركباً من النصوص)؛ لأن لوتمان كان على بيّنة بأن كل فترة تاريخية لا تملك سنناً ثقافياً أحادياً موحداً، بل إننا نجد داخل الثقافة الواحدة مجموعة من الشفرات" (بريمي، 2018)، وينبّه يوري لوتمان وبوريس أوسبنسكي إلى أن "الثقافة في مقابلة اللانثقافة تبدو نظاماً من العلامات" (لوتمان وأوسبنسكي، 1986)

وإذا كانت السيميائية تهتم بدراسة أنساق النصّ وأنظمتها فإنّ النقد الثقافيّ ينفّس، منهجيًّا، على فكرة مركزية مؤداها لزوبُ دراسة النصوص باستدعاء السياقات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي أحاطت بها لحظة إنتاجها (الغذامي، 2002)، ذلك أن أبرز مهمّات الناقد الثقافيّ هي مناوشة النصوص الأدبية، ومحاولة الحفر معرفيًّا في بنيتها، بغية القبض على بنيتها العميقة، وذلك من خلال "إبراز الصراع الطبقيّ" (حمّودة، 2003)، من حيث هو صنيعه النسق الذي يمتاز بأنه لوّاب، ومخاتل، وقادر على "أن يتكرر بداخل نفسه" حسب تعبير نيكلاس لومان/ Niklas Luhmann (لومان، 2010)

إننا إزاء كون سيميائيّ، وهو الذي يقسمه يوري لوتمان من الناحية الثقافية إلى مركز نُطلق عليه النواة، وهامش أو محيط، والمركز والهامش مفهومان مثقلان معنى، طافحان دلالة، فالمركز ألقٌ وقوة وثباتٌ، والهامش ظلٌّ ورسمٌ زائلٌ وتحولٌ وهشاشةٌ (صمود، 1995).

وهذه الكونية السيميائية تحتمّ على النقد الثقافيّ اعتماد مبدأ القراءة المختلفة الذي دعا إليه الغذامي؛ إذ تمكن القراءة الثقافية الناقد من فحص "كيف يمكن لمجتمعات القراء المختلفة أن تفسر نفس النص بشكل مختلف بسبب أنظمة القيم المتنوعة" (الغذامي، 2002)؛ ذلك أنه من خلال هذه القراءة المختلفة يعيد القارئ الثقافيّ استخراج مضمرات الثقافة، التي تشكّل ثقافتنا الفرديّة، ذلك أننا "منذ سن مبكرة نقوم بامتصاص نصوص مختلفة تشكل فضاءنا السيميويطقيّ" (سيمنكو، 2017)

ولذا فإن اجتراح مصطلح "السيميائية الثقافية" يغدو محاولة يمكن من خلالها الخروج من جدلية منهجية طرفها النقد الثقافيّ والنقد الأدبيّ، والنجاة من التيه النقديّ الذي بات طاغيًّا، بصورة لافتة، على الدرس النقديّ عند العرب، فالسيميائية والنقد الثقافيّ يرتبطان برباط وثيق العرى "ومن هنا يمكن القول إن العلاقة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي علاقة تكاملية تثري الخطاب، وتستحث طاقاته نحو مداخل جديدة، وخاصة تعامله مع الثقافة ووظائفها الاجتماعية" (السعودي، 2022)

وفي إطار فحص هذه المفاهيم النقدية الثقافية واختبارها، انتخبت الدراسة ضادية ابن زيدون، التي تمثل نموذجًا نصيًّا، يحفل بالإشارات الثقافية، التي تضمّر موقفًا أيديولوجيًا متوترًا يحمل الشاعر تجاه السلطة، فالتجربة الإنسانية التي يكشف عنها هذا النصّ تهدف إلى ترسيخ حضور الأنا العاملة، من خلال علامات ثقافية مبطنة بالتهديد، والمواجهة، والحريّة، والهيمنة المضادة، وسلطة المعرفة؛ بغية تهديد النسق السلطويّ، وذلك بتشريحه، وتفكيكه، وتبيان عيوبه النسقية، ومن ثم تفويضه، وهو ما تحاول آفاق القراءة الراهنة أن تكشفه وتبين معالمه

إنّ هذه القراءة مسكونةٌ بهاجسٍ دحض القول البسيط، الذي يُجَلُّ بحقيقة القصيدة، ويرى أنها محضُ قصيدةٍ عتابٍ، ولأجل ذلك كان الارتقاء من هذا الدرك التأويلي، إلى درج جديد ومختلف يهدف إلى إضاءة فضاءات المحتمل النصي/ الإشاري، بما يؤكد أن قصيدة ابن زيدون تمثل نصًا متوترًا يتخذ العتاب حيلة ثقافية، لتأسيس خطاب مضاد ومخاتل، فيتحول من خلاله ظاهر العتاب إلى مضمر الهجاء

2. 1 ضادية ابن زيدون: بين جدليات النسق وسيمانيات الثقافة:

إنّ القراءة الثانية لضادية ابن زيدون تؤكد ما تنطوي عليه من رؤية نصيةٍ مختلة، تتوسل بجماليات العتاب، في ضوء تجربة الذات القلقة مع السلطة، فقد مرت هذه التجربة بتحويلات جوهرية وفاصلة وحاسمة، بحيث مثّلت في ذهن الشاعر صدمةً وانقلابًا لم يكن متوقعًا.

وإذا كانت القصيدة تؤسس لأرشيف الذات الشاعرة بعبارة جاك دريدا (دريدا، 2003)، فإن قصيدة ابن زيدون تتخذ من الشعر تعويذة لتحدي الفناء بالبقاء، والغياب بالحضور، والموت بالحياة، والفراغ بالامتلاء، والسواد بالبياض، فهي تضطلع إذن بوظيفية أرشيفية توثيقية تحفظ الذات من خلالها نفسها من عوامل الفناء والاندثار، من خلال إشارياتها وبنائها التي تمثل من منظور هذه القراءة "آلية ناجعة لحفظ المعلومات داخل ثقافة ما" (سيمنكو، 2017)، فهذه القصيدة نص مقاوم، ينهض على مقولة الاحتجاج والمواجهة

وتمثل ثيمات التحدي والعتاب والتهديد نقط ارتكازٍ للتجربة الشعرية عند ابن زيدون، وهذه الثيمات تتجلى في تمظهرات نصية وتمثيلات ثقافية يزخر بها المتن الشعريّ الزيدونيّ، بحيث تعكس تجليات الصراع بين الشاعر وابن عبدوس/السلطة

إنّ هذا القصيدة تنبني في نسقها الثقافيّ المضمر على فكرة: الصراع القائم بين ثنائية سلطة السيف والقلم، إذ تمثل لغة الشاعر الباذخة سلطة القلم، التي يتحدى بها المركز/ ابن عبدوس Center بوصفه وزيرًا ينتمي إلى العالم السلطويّ (الشنتريني، 2007م).

وتشير السرديات المتواترة إلى أنّ ابن زيدون قال هذه القصيدة في إطار تحديه لابن عبدوس في مجالات مختلفة، منها: التنافس على الوزارة لدى ابن جهور، والحظوة بقلب ولادة، والإبداع في الكتابة والشعر، وقد سجّل التاريخ بوصفه وعاءً أرشيفياً أخباراً كثيرة عن توتر العلاقة بينهما، بعد أن كان ابن زيدون وزيراً وصار أسيراً، وأبعد عن حياض السلطة، وتبوأ ابن عبدوس السلطة وظفر بقلب ولادة، فتعالت أصوات التهديد والعتاب، وفي ذلك يقول ابن زيدون (ابن زيدون، 1994):

أثرت هزبر الشرى إذ ربض
ونبهته إذ هذا فاعتمض

إنّ هذه القصيدة تستثمر سجل المعاتبة، الذي يتخذ منه الشاعر وسيلةً لتفكيك خطاب السلطة/ الآخر التي يمثلها ابن عبدوس، متكئاً على بلاغة الشعر، بما هو نسق ثقافي مؤثّر، ولذلك بات واضحاً أن هذه القصيدة يجب أن تُوضع في هذا الإطار، وتقرأ في ضوء المداريات الثقافية والسميائية الآتية:

المدارية الأولى: مركزية الأنا وإيقاعات التحدي، وتمثلها الأبيات (1 - 9).

المدارية الثانية: مراوغات الخطاب والعتاب المخاتل، وتمثلها الأبيات (10 - 19).

المدارية الثالثة: الذات وتقويض الآخر، وتمثلها الأبيات (20 - 28).

المدارية الرابعة: تمثيلات الوفاء وطقسية النبذ، وتمثلها الأبيات (29 - 40).

المدارية الأولى: مركزية الأنا وإيقاعات التحدي، وتمثلها الأبيات (1 - 9) (ابن زيدون، 1994):

أثرت هزبر الشرى إذ ربض	ونبهته إذ هذا فاعتمض
وما زلت تبسط مسنر سلا	إليه يد البغي لما انقبض
حذار حذار فإن الكريم	إذا سيم حسفاً أبى فامتعض
فإن سكون الشجاع النهوس	ليس بمانع أن يعض
وإن الكواكب لا تستزل	وإن المقادير لا تُعرض
إذا ربع فليقتصد مسرف	مساع يقصر عنها الحفض
وهل وارد العمر من عده	يقاس به مستشف البرض
إذا الشمس قابلتها أرمداً	فحط جفونك في أن تُغض
أرى كل مجر أباً عامراً	يسر إذا في خلاء ركض

إنّ من اللافت للنظر سيميائياً أن هذه القصيدة تتأسس بنيوياً/ بنائياً على ثنائية طرفاها مركزية الأنا وتمثيلات المواجهة والتحدي؛ إذ توّشر هاتان الـثيمتان -بما تحملاه من دلالاتٍ سيميائيةٍ وأنساقٍ ثقافيةٍ دالةٍ- على أنّ الأنا الشاعرة/ ابن زيدون تجنح إلى "تبئير الذات"، وفرض حضورها الطاعي منذ مفتتح القصيدة، وهو يشي بسلطوية الأنا ومركزيتها، أو بما يُسمّى في إطار السيميائية الثقافية بـ "سيميائية القوة" / The semiotics of power، وفق المفهوم الذي نحتّه تانجوي هارما/ Tanguy Harma (2014) (Tanguy Harma)

ولعلّ اتخاذ الشاعر/ ابن زيدون لهزبر الشرى/ الأسد قناعاً/ Mask، في ظلال ما تحمله الذاكرة الجمعية عن الأسد وصفاته المتواترة في المخيال الجمعي العربي من قبيل: البطش والقوة والفُك، ينبئ عن وعي الشاعر وإدراكه للقيمة الإشارية التي تنهض بها عملية نمذجة الأسد/ Modeling في سياق مبادأة الآخر/ ابن عبدوس بالمواجهة والتهديد

وإذا كان مطلع القصيدة هو بورتها ومجمع أنساقها، فإن الشاعر يحاول أن يجذر من خلالها قيمة الخلاف والقطيعة المتأصلة بين الأنا والآخر، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

أثرت هزبر الشرى إذ ربض
ونبهته إذ هذا فاعتمض

إن القراءة الفاحصة للأنظمة السيميائية التي شكّل بها الشاعر "لغة المطلاع" من قبيل "هزبر الشرى"، "ربض"، "اغتمض"، تكشف عن رغبة الشاعر في بناء أفق دلاليّ يمثل انعكاساً مرآويّاً لصورة الذات؛ ذلك بأنّ هذه الألفاظ تنتمي سيميائياً إلى أفق لفظيّ متسق، يتمركز حول "ثقافة الذات"، التي تريد أن تعبر عن تفردها وتمييزها، عبر تكثيف "القوة السيميوطيقية" لصيغة الذات، ولذا فإنّ الشاعر يستخدم اللغة وما ورائياتها هنا في إطار فعل الكتابة/كتابة الأنا، أي أنه يستخدمها في ظلال وفائه لثقافة التحدي والاستجابة التي ينتمي إليها "باستقلال واع ذاتياً" (اشكروفيت وجريفيث وتيفين، 2006)، ولعلّ ذلك يرتبط إشارياً بثقافة الحضور والامتلاء، فالشاعر الفحل/هزبر، وهو رمز سيميائيّ يمتلك ذاكرة متجدّرة في المخيال الجمعيّ.

ولا مندوحة من الإشارة إلى الدور المركزيّ الذي تنهض به اللغة الخاصة/ المتأثّلة في هذه القصيدة، إذ يمثل انتخاب الشاعر لهذه اللغة/ المختلفة والمخالطة في سياق التحدي والمواجهة وعياً مانزراً بدور اللغة وإستراتيجيات القول في الصراع الوجوديّ مع الآخر؛ ذلك بأنّ اللغة بوصفها علامة ثقافية/ Cultural Marker تقوم بدور مائز في ممارسة فعل المواجهة والمناظرة والردّ بالكتابة، إذ يشي جنوح الشاعر إلى هذه اللغة برغبته في ترسيخ فكرة انتمائه إلى الثقافة العالمية/ High culture، باعتبار الذات الشاعرة نسقاً متعالياً، وصوتاً متفرداً.

ولعلّ التصريح في مطلع القصيدة بين (ربض/ اغتمض) يضطلع بدور نسقيّ مراوغ، إذ يمثل مجيئه متسقاً من الناحية الدلالية والصوتية؛ انعكاساً لموقف الشاعر وأزمته النفسية الشعورية تُجاه السلطة وتحديه لها؛ ذلك أنّ التصريح بصوت "الضاد" اختياراً يكشف عن رغبة الشاعر في تنبيه الآخر منه، وتحديه له، وذلك ما يتجلى في صوت الضاد بوصفه صوتاً جهرياً يمتاز بالقوة والشدة والاستعلاء

وإذا كانت الذات الشاعرة في هذه القصيدة تعيش لحظة زمانية فارقة في علاقتها مع الآخر، فإنها -فيما يبدو- تسعى إلى نمذجة صورة سلبية للآخر، إذ تعلن هذه الصورة السالبة سيميائياً بأنّ الآخر هو المؤسس لخطاب الشرخ الحادّ الذي أضحى يؤطر نسق الصداقة، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

ومَا زِلْتُ تَبْسُطُ مُسْتَرْسِلاً
إِلَيْهِ يَدَ الْبُعْيِ لَمَّا انْقَبَضُ

وقد جاءت بنية الأمر بصيغها المختلفة المتوالية في البيت الثالث، لتكشف عن فلسفة الشاعر الثائر، الراض لخيانة الآخر، وسياسة التبدل والتحول، وتستجيب لموجبات اللحظة الراهنة/ لحظة الهامشية التي تدعو إلى أطراح سياسات التعقل والاتزان، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

حَذَارِ حَذَارِ فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا سِيمَ حَسَفًا أَبِي فَا مَنَعَضُ

ويكشف تكرار اسم فعل الأمر "حذار" مرتين في هذا البيت عن بلاغة الحضور الوجودي وإبلاغيته، فالذات تحافظ على كمية الثقة والاعتداد بالنفس، لتسجل حضورها في اللحظة الحاسمة لمواجهة السلطة، التي تؤثت وجودها الثقافي من إمبراطورية من علامات القوة حسب تعبير رولان بارت "إمبراطورية العلامات" / The Empire of Signs؛ إذ يستوفي هذا التكرار كل زخمة القيمي النسقي المرتبط بقدرة الذات، وبإصرارها على تحذير الآخر من مغبة الإساءة إليها بوصفها نسفاً يابى الذل والهوان، إذا سيم حسفاً وازدراءً؛ فهي تجيء في سياق تهديدي يمكن تلمسه في ما تختزنه الذاكرة المعجمية للفظه "حذار"، التي تنشك من دلالات سيميائية توظرها معاني الانفعال والتحدي والرفض والمواجهة

وإذا كان الشاعر واقفاً في حالة متوترة / Tension، فإنه يعود ليتخذ من "صوت الحكمة" قناعاً مرواغاً يختبئ خلفه في سياق تهديده للآخر، ويمارس حقه في التحذير من تداعيات الجهل بحجم قوة الذات الشاعرة، التي تقيء في لحظة زمنية مؤقتة إلى ثقافة التعقل، والترفع، والعفو، والاتزان، ذلك بأن المصابرة على تحمل زلات الآخر؛ لن يعيقها عن النهوض لمواجهته، وكبح جماحه، والقضاء عليه، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

فَإِنَّ سُكُونَ الشَّجَاعِ النَّهُوسِ لَيْسَ بِمَانِعِهِ أَنْ يَعْضُ
وَإِنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تُسْتَزَلُّ وَإِنَّ الْمَقَادِيرَ لَا تُعْتَرَضُ

تنأسس هذه الأبيات على ترسيم صورة إيجابية وإشهارية للذات الشاعرة التي تتخذ من الأسد والشجاعة والكواكب السنية أقتعة نسقية وعلامات ثقافية / cultural signs في مقابل رسم صورة سالبة للآخر السلطوي/ الفحولي، إذ تمثل هذه الأبيات متوالية نصية توظرها ثيمات الشجاعة، والتروي، والترفع عن الصغائر

وتشي هذه الثيمات سيميائياً بانتماء الشاعر إلى ثقافة متسامية ومترفعة تتعالى على ثقافة الآخر وتفضلها؛ إذ ينتمي الشاعر إلى أرشيف مختلف / Different Archive تتجمع في أثنونه الصفات الإنسانية الإيجابية التي يرتبط حضورها وتواليها بانتقائها من الآخر/ابن عبدوس، ويعيوبه النسقية، على اعتبار أن هذه الثقافة التي ينتمي إليها الشاعر "ذاكرة" أو سجل لتجربة الجماعة" (لوتمان وأوسبنسكي، يوري وبوريس، 1986)؛ ولذا يبدو الشاعر

مُصِراً على بناء خطاب إشهاريّ تفاضليّ "جَمَعَ خلاله مجموعة هائلة من النفوذ الثقافي لنفسه" (اشكروفيت وجريفيث وتيفين، 2006).

ولا ريب أنّ الشاعر في هذه المدارية النصيّة يرغب في الانتصار لثقافته العالمية؛ ولذا فإنّ القراءة الفاحصة للبيتين السابقين تكشف عن تجلٍّ لمركزيّة الأنا الشاعرة التي تعبّر عن انتمائها إلى ثقافة عالية/ مثقفة/ خبرت الدنيا، واكتوت بناها، وقطّرت تجربتها الإنسانيّة على هيئة خطاب حكمي ناجز تجلّيه البنية الشرطيّة، للرد على السلطة/ الآخر الذي لا يتسم بالعقلانيّة والوفاء والصدق، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

مَسَاحٌ يُفَصِّرُ عَنْهَا الْحَفْضُ	إِذَا رِيغٌ فَلْيَقْتَصِدْ مُسْرِفٌ
يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشْفِئُ الْبِرَاضِ	وَهَلْ وَارِدُ الْعَمْرِ مِنْ عَدِّهِ
فَحَظُّ جُفُونِكَ فِي أَنْ تُعْضُ	إِذَا الشَّمْسُ قَابَلَتْهَا أَرْمَدًا

إنّ هذه الأبيات تؤسّس في ظلال بنائيتها الشرطيّة لنسقيّة الذات الشاعرة، التي تغدو وفقاً لمعطيات القراءة الثقافيّة "شمساً" تملك ثقافة الإشراق، ولا شك أنّ "الشمس" بما عليه علامة ثقافيّة "شديدة الإيحاء" بحسب بيير جيرو/ Pierre Guiraud (جيرو، 2016)، ذلك بأنّها ترتبط بفكرة الضياء والمعرفة والنور والحكمة، فتسمي لذلك قادرة على كشف الزيف والضلال، ذلك أنّها تقوم بوظيفة نصحيّة موجهة إلى الآخر/ ابن عبدوس، تنبّهه بوجود التحرر من إيسار العمى الثقافيّ/ Cultural blindness الذي يتمثل في الزيغ، والضلال، والجهل الذي يتلبّسها.

ومن هذا المنطلق يؤثر الشاعر اختيار ضمير الغائب علامة سيميائية لمخاطبة الآخر، فيدلّ بذلك على تبنيه لثقافة الإقصاء والغياب في مواجهة الخصم؛ فالشاعر بنمذج هذه الصور السالبة بوصفها علامات على فساد المثل والقيم عند النموذج المضاد، ولعلّ في ذلك دلالة على عماء بصره وبصيرته عن التفكّر في هذه الرؤى والقيم والمفاهيم الإنسانيّة؛ نظراً لانتمائه إلى ثقافة الخيانة والجهل والضلال، وهو ما تشي به سيمياء الألفاظ التي كوّنت معاهد هذه الأبيات "مُسْرِفٌ، الغمر، أرمداً"، إذ تبدو هذه الصفات مرتبطة بالعيوب النسقيّة التي أضحت متأصلة في "النموذج السلطويّ"، وبهذا المعنى حاول الشاعر هدم نماذج المركز، والتشكيك في مزاعمه بامتلاك مجموعة قيم ثابتة ونقيّة ومتجانسة

إنّ الشاعر في هذه الأبيات يكفّف حديثه عن الصورة الإيجابيّة للذات الإنسانيّة، رغبة في كشف عوار الآخر السلطويّ وعيوبه؛ ولذا فإنه توسّل بحيل نسقيّة واستثمر مراوغات اللغة خلال العمليات السيميائية التي تحدث داخل أنظمة الإشارة، واتخذها أداة لفصح سياسات الآخر وتصرفاته، وذلك بعدما أيقن بحقيقة "وهم الصداقة"، فقد كسر الآخر -فيما يتلو- أفاق توقّعه، ولم يأنف مع أطروحاته المتسامية؛ فكان "العتاب العنيف" جزءاً مستحقاً لموقفه، ويجيء في سياق نصحيّ مُشوق، بيد أنّه

رامز، ودال، يضمم المختلف ويتسّر بالمجازي، وجماليات الخطاب الناصح، المتأسس على فكرة نقد السلطة، والتشهير بسياساتها المتلونة والملتوية.

المدارية الثانية: مراوغات الخطاب والعتاب المخاتل، وتمثلهما الأبيات (10 - 19) (ابن زيدون، 1994):

أُعِيدُكَ مِنْ أَنْ تَرَى مِنْزَعِي	إِذَا وَتَرِي بِالْمَنَايَا انْقَبَضُ
فَأَبِي أَلَيْنُ لِمَنْ لَانَ لِي	وَأَثْرُكَ مَنْ رَامَ قَسْرِي حَرَضُ
وَكَمْ حَرَكَ الْعُجْبُ مِنْ حَائِنِ	فَعَادَرْتُهُ مَا بِهِ مِنْ حَبَضُ
أَبَا عَمِيرٍ أَيْنَ ذَلِكَ الْوَفَاءُ	إِذِ الدَّهْرُ وَسُنَانُ وَالْعَيْشُ غَضُ
وَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَعْتَدُ مِنْ	مُصَادَقَتِي الْوَاجِبِ الْمُفْتَرَضُ
تَشُوبُ وَأَمْحَضُ مُسْتَبَوِيًّا	وَهَيْهَاتَ مَنْ شَابَ مِمَّنْ مَحَضُ
أَبْنِ لِي أَلَمْ أَضْطَلِعْ نَاهِضًا	بِأَعْبَاءِ بَرِّكَ فِيمَنْ نَهَضُ
أَلَمْ تَنْشَ مِنْ أَدْبِي نَفْحَةً	حَسِبْتَ بِهَا الْمِسْكَ طَيِّبًا يُفَضُ
أَلَمْ تَكُ مِنْ شِيمَتِي غَادِيًّا	إِلَى تَرْعِ ضَاكِحَتِهَا فَرَضُ
وَلَوْلَا اخْتِصَاصُكَ لَمْ أَلْتَفِتُ	لِحَالَيْكَ مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضُ
وَلَا عَادَنِي مِنْ وَفَاءٍ سُورُ	وَلَا نَالَنِي لِحَفَاءٍ مَضَضُ
يَعِزُّ اعْتِصَارُ الْفَتَى وَارِدًا	إِذَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ أَهْدَى الْجَرَضُ

تجسد هذه المدارية النصيية فكرة "العتاب المخاتل" الذي يضمم النقد الحاد، والعداء، والرغبة في الانتقام، من خلال فكرة استدعاء الأرشيف الماضي (Past Archive) (عليقات، 2021)، واللحظة الزمنية المنصرمة، بما تحمله من لحظات الود والوفاء، يمارس من خلالها الشاعر فعل التعمية والمفاخرة والمخاتلة للآخر/ ابن عبدوس؛ إذ يضمم هذا الاستدعاء وراء الشكل الاستطبيقي/ Aesthetics، رغبة مزيفة في استعادة التجربة المنصرمة، فالشاعر يبدو متمسكا بعري الصداقة والوفاء والود، ليمثل الإنسان/ النموذج الثابت على القيم والمبادئ، في حين يشكل الآخر صورة الإنسان/ النموذج المُخَلَّ بهذه القيم والمبادئ.

ويمثل الفعل "أُعِيدُكَ" بؤرة سيميائية ونسقية تمثل عصب هذه المدارية؛ إذ يأتي انتخاب الشاعر للفعل "أُعِيدُكَ" انتخاباً مروغاً؛ لأنه يحمل في ظاهره معاني الود والصحة والدعاء، والاحتماء بـ "ثقافة التعويد" المتكوثة بالطوقس، التي يلود المحبُّ بها ابتغاء حماية مَنْ يحب، ثم إنَّ هذا الفعل يرتبط -وفقاً لسباق القصيدة هذه- بفكرة "العمى الثقافي" الذي ران على قلب ابن عبدوس.

ولعلّ هذه "التعويذة" تسمي ضرباً من اللعب مع الآخر، وفقاً للمفاهيم التي تطرحها فلسفة اللعب/ philosophy of play، فالشاعر هنا يحدّر الآخر بطريقة مخالطة، تنبئ عن علمه وإدراكه "بتفضيلات الخصم، وتوقع تحركاته، ووضع إستراتيجية للتحركات المضادة" (حسن، 2020)

ولذا فإنه أي الفعل "أعيدك" يغدو إشارية سيميائية أراد الشاعر من خلالها بناء نسق النصح للآخر؛ ليدرك الآخر قيمة التعقل، وينزجر ويفيء إلى مقتضيات النسق الثقافي الذي تواضعت عليه الذاكرة الجمعية في إطار "نسق الثقافة" كما يقول يوري لوتمان (بريمي، 2018)، يقول الشاعر:

أعيدك من أن ترى منزي
إذا وتري بالمنايا أنقبض

وإذا كان الشاعر يتساءل عن تصرُّم الوفاء وانتفائه عن الآخر/ ابن عبدوس في إطار ناظم الصداقة التي تجمع بين الرجلين، فإن ذلك يستدعي مضمرات نسقية متعددة، يقول الشاعر:

أبا عامر أين ذلك الوفاء
إذ الدهر وسنان والعيش غص
وأين الذي كنت تعتد من
مصادقتي الواجب المفترض
تثوب وأمحص مستقبيا
وهيئات من شاب ممن محض
أين لي ألم أضطلع ناهضاً
بأعباء برّك فيمن نهض

يرتبط المضمرة النسقي الأول في هذه الأبيات برغبة الشاعر في هجاء الآخر، وذم أخلاقه، وصفاته، كما أشير سابقاً، وكذلك إلى ترسيخ ثقافة الامتلاء والصدق والاستعلاء التي ينماز بها الشاعر/ ابن زيدون دون الآخر؛ ذلك أن انتفاءها عند الآخر يستدعي بالضرورة حضورها عند الذات، في صورة جدلية تبدى أحد أطرافها، وأضمر طرفها الآخر

وعليه، فإن هذا العتاب يمثل -من خلال القراءة المتبصرة- نقداً وهجاءً، ووسيلة للتخلص من أدران هذه الصداقة، التي تحوّلت إلى مصدر للعداء، وحياسة المؤامرات، بحيث يتحوّل الصديق/ ابن عبدوس إلى خصيم مبین، وهو ما سوّغ للشاعر أن يصير على جلاء عيوب الآخر، وسلوكه السالب، وسعيه لنقض عُرى الصداقة بينهما، لكن الشاعر لأنه يناور الآخر ويعمّي عليه في الخطاب، فهو يستعين بالنداء في تأسيس خطابه العاتب/ المخاتل، بما يحمل أسلوب النداء من دلالات الرغبة في التواصل/ الاتصال والالتقاء، غير أن هذا النداء يضمّر ضرباً من الهجاء الموجّه إلى الآخر؛ ذلك أنه يمتدج في صورة

الغادر الخائن، الذي لا يرقب إلا ولا ذمة ولا يحفظ ودًا قديمًا، وعليه فإنّ النداء يستوفي طاقاته الدلالية ليغدو "نسقًا سيميائيًا"، إنّه جنس من المخاتلة والتلون في مخاطبة الآخر، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

أبا عامرٍ أينَ ذلكَ الوفاءِ إذ الدهرُ وسنانُ والعيشُ غَضُ

إنّ الشاعر حينما استحضّر الزمن الماضي، فإنما يستعيد لحظة الصفاء والود التي تصرّمت، ذلك بأنّ لحظته الزمنية الخالية بما تضمنته من عيش غرض كان الدهر عنه في سبّة، تمثّل لديه مُلتحدًا يأوي إليه الشاعر، ويحاول أن يذكّر به ابن عبدوس؛ ولذا فإنه ما انفكّ يستذكره ليكون له وجاء من عذابات اللحظة الراهنة التي يعيشها، لحظة الغدر والخيانة والتهميش؛ ولذلك كان هذا الاستدعاء -في أدقّ أحواله- مقتفراً لقانون البراءة والطهر، فهو تعريض يرسّخ الشاعر من خلاله مسارًا إنباهيًا للآخر بضرورة مراجعة سياساته وطرائق تعامله معه (عليّات، 2019)؛ فالنداء إنما يمثل نوعًا من الجهر بالعتاب/الهجاء، أو هو ضرب من "بناء الذات وإعلاء صوت الكلمة" (عليّات، 2006)

ويغدو النداء في هذا البيت مزنرًا ببلاغة الحجاج/ The Poetic of Argumentation التي تستند إلى استدعاء التاريخ، فالشاعر يحاجج ابن عبدوس رغبةً في أن ينتزع منه اعترافًا بخطئه، واعتذارًا عن إساءته للشاعر الفحل؛ ولذا فإنّ الشاعر -وإن بدا أنه يقنع الآخر/ ابن عبدوس- فإنّ بنية هذا الحوار تنأى عن "ثقافة الانكسار" أو "ثقافة المُهادنة" لتفتح أفقًا حجاجيًا يتبنى "ثقافة التحدي والمواجهة".

إنّ هذه الحوارية التي يؤسسها الشاعر في الأبيات تشفُّ بدورها عن صورة الشاعر المهّمّش، الذي يتّخذ الحوار وسيلةً للتعبير عن ثيمة التحدي، وخيبة الأمل كذلك، جراء تقلّبات الزمن وتحولات الآخر/ أبا عامر.

ومن ثمّ فإنّ هذه الحوارية تظهر العتاب لتضمّر غيره؛ أي أنها ليست عاتبًا محضًا، وإنما نوعٌ من مراوغة الآخر/ ابن عبدوس، من خلال اللعب بالكلمات، واستثمار طاقات اللغة المجازية المخاتلة لاستدراج الخصم للإقرار بخطئه وضلاله؛ فالشاعر لا يقرُّ لابن عبدوس بالصحة بادي الرأي، لوجود القرائن الدلالية التي تحملها لفظة "انتقض".

وفي مختتم هذه المدارية يجنح الشاعر إلى تكثيف حضور "الأنا العاملة" بوصفها أمثلة للذات النموذجية، وقد ألقى هذا الحضور بظلاله على لغة الشاعر فجاءت مشحونة ومتوترة، تدكّر الآخر/ ابن عبدوس بالماضي، وتكر عليه ما تلبس به قلبه من غشاوة، جعلته يتجاوز اللحظة الماضية، وينقض عهد الصحة والوفاق والود، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

أَلَمْ تُنْشَ مِنْ أَدْبِي نَفْحَةً
حَسِبْتَ بِهَا الْمِسْكَ طَيْبًا يُفِضُ
أَلَمْ تَكُ مِنْ شَيْمَتِي غَادِيًا
إِلَى تَرْعٍ ضَاكِكُنْهَا فُرْضُ

إنَّ الشاعر وهو يستثمر بنية الاستفهام، أثر أن يرفع من درجة توتر هذه البنية، حينما أفرغها في قالب التوازي التركيبيّ (حرف+ حرف+ فعل مضارع/ أَلَمْ تُنْشَ - أَلَمْ تَكُ)، في محاولة ذكية منه لإقناع ابن عبدوس بالعدول عن غيِّه، وإعادة أوامر الحُسنى بينهما، وبذلك يتأسس الاقتناع بأن هذه الصيغة تضمّر أنساقًا، تتعالق وتجربة الأنا الشاعرة، التي تعاطم لديها الشعور بالأحقية في التفوق على الآخر، وبدا طبيعيًا أن خطاب النصيحة قد استوفى شروطه الدلالية كلها من دم وتحقير، تعكسه الصيغة الأمرية التي تظهر نسق الذات وسلطتها، وتضمّر عدم الاكتراث بالآخر، وهو الوزير الذي يملك "سلطة السيف/الموت".

وفي هذين البيتين يُعلي الشاعر صوته المختلف، ويؤسّس لذاته الممتلئة، التي تتفوق على الآخر بانتمائها إلى "ثقافة العطاء"، التي يتنكّر لها الآخر/ ابن عبدوس، ويقابلها بـ "ثقافة الجحود والنكران"

إنَّ إصرار الشاعر على تقديم النصح لابن عبدوس، والكشف عن عيوبه، يرتبط بفكرة "العيوب النسقية" التي طرحها عبدالله الغداميّ (الغداميّ، 2002)، فالشاعر مشغولٌ بإضفاء صفات الجهل، والسّفه، والخِفة، والغباء على ابن عبدوس، ذلك بأنها صفات رانت على قلبه وعقله

وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة من هذه المدارية يغلق الشاعر مقطع العتاب المخاتل / المراءوغ بإعادة أسطرة الذات؛ فهي لا تهتم بالآخر، وسياساته، إلا بما تمليه عليها "ثقافة الوفاء"، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

وَلَوْلَا اخْتِصَاصُكَ لَمْ أَلْتَفِتْ
لِحَالَيْكَ مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ
وَلَا عَادَنِي مِنْ وِفَاءٍ سُرُورٍ
وَلَا نَالَنِي لَجْفَاءٍ مَضَضٍ

وفي البيت الأخير من هذه المدارية تمثل الفتوة/ الفتى في ثقافة ابن زيدون/ الشاعر علامة سيميائية تختزل في شيفرتها نظرة الشاعر إلى نفسه وإلى العالم من حوله (ابن زيدون، 1994):

يَعْرِزُ اعْتِصَارُ الْفَتَى وَارِدًا
إِذَا الْبَارِدُ الْعَدْبُ أَهْدَى الْجَرَضِ

وليس يخفى أن ثقافة الفتوة -في إطار هذه المدارية- تتماس مع الصدق والوفاء والفحولة، التي أسس لها الشاعر في علاقته مع الآخر/ ابن عبدوس، فكان استدعاء الفتوة في نهاية المدارية حيلة ذكية يجلي الشاعر من خلالها صورة "فتوة الأنا"، التي تمتلك القدرة على الانتفاض في وجه الآخر، والاحتماء بثقافة التجاهل عن مؤامراته

المدارية الثالثة: الذات وتقويض الآخر، وتمثلها الأبيات (20 - 28) (ابن زيدون، 1994):

عَمَدَت لِشِعْرِي وَلَمْ تَنْتَبِ	تُعَارِضُ جَوْهَرَهُ بِالْعَرَضِ
أَضَاقَتْ أَسَالِيبُ هَذَا الْقَرِيضِ	أَمْ قَدْ عَفَا رَسْمُهُ فَأَنْقَرَضُ
لَعَمْرِي لَقَوَّفْتَ سَهْمَ النَّضَالِ	وَأَرْسَلْتَهُ لَوْ أَصَبْتَ الْعَرَضِ
وَشَمَّرْتَ لِلْحَوْضِ فِي لُجَّةٍ	هِيَ الْبَحْرُ سَاحِلُهَا لَمْ يَخْضُ
وَعَرَّكَ مِنْ عَهْدٍ وَوَلَادَةٍ	سَرَابٌ تَرَأَى وَبَرَقٌ وَمَضُ
تَظُنُّ الْوَفَاءَ بِهَا وَالظُّنُونُ	فِيهَا نَقُولُ عَلَى مَنْ فَرَضُ
هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ	وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مِنْ مَخْضُ
وَتُبْنِئُهَا بَعْدِي اسْتُحْمِدَتْ	بِسِرِّي إِلَيْكَ لِمَعْنَى عَمَضُ

لقد شكّل العتاب المخاتل/ الهجاء في المدارية السابقة فعلا تطهيرياً، غسل به الشاعر أدران الصحبة السالبة مع ابن عبدوس، فقد كشف العتاب بوصفه حيلة نسقية عن زيغ السلطة، وعيوبها النسقية؛ ولذا فإن هذا العتاب وطأ الأكناف وهباً الأسباب وشكّل عتبة أمام الذات الشاعرة للشروع في عملية تقويض السلطة، والتحول من لحظة الانكسار/ العتاب، إلى لحظة الانتصار/ التقويض.

إن الخطاب يمرّ خلال هذه المدارية بتحوّلات تشي برغبة الشاعر في تقويض سلطة الآخر، وتأكيد مركزية الذات، والكشف عن الإشكالات الرؤيوية التي تتحكم بالمسارات التي تتخذها السلطة في علاقتها مع الأنا الشاعرة، ويجيء ذلك بالطبع في عقب ترسّخ اقتناع الشاعر بأنّ العتاب لم يعد يجدي نفعاً مع الآخر/ ابن عبدوس في ظلال صدمة الذات/ Trauma من منطلق الآخر وإستراتيجياته في الحياة والتعامل مع الذات (Buelens, Gert, Sam Durrant, and Robert Eaglestone, 2014).

وفي ظلال موقف الشاعر السالب من الآخر تبرز صورة الأنثى الغادرة، وطسسية الخيانة، فقد مثلت علاقة ولادة وابن عبدوس صدمة للشاعر الوفي، ومحفزاً له على الإسراع في إنجاز مهمة تقويض الآخر، وتبيان جهله بولادة/ الأنثى اللعوب، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

وَعَرَّكَ مِنْ عَهْدٍ وَوَلَادَةٍ	سَرَابٌ تَرَأَى وَبَرَقٌ وَمَضُ
تَظُنُّ الْوَفَاءَ بِهَا وَالظُّنُونُ	فِيهَا نَقُولُ عَلَى مَنْ فَرَضُ
هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ	وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مِنْ مَخْضُ
وَتُبْنِئُهَا بَعْدِي اسْتُحْمِدَتْ	بِسِرِّي إِلَيْكَ لِمَعْنَى عَمَضُ

إنّ تقويض الشاعر لاستقواء الآخر -في هذه الأبيات- يتجلى في فضح مؤامراته، فقد أسس مساراً للنكران والغدر والخيانة، إذ يبدو في هذه الصورة التي يمتدجها الشاعر للآخر - يبدو أنه يتصدّد تدمير ذلك الآخر، من خلال تشويه صورته، وهدم النسقية الوهميّة التي تتمترس وراءها الأنا السلطوية/ ابن عبدوس

ويتخذ التقويض في هذه الأبيات مساراً مخاتلاً حين يكشف الشاعر عن جهل السلطوي/ الآخر بحقيقة ولادة المتقلّبة، للعبوب الغدور، فيظهر ابن عبدوس في صورة غرّ ما يزال غضّ الإهاب جاهلاً بحقيقة الحب المزيف، الذي تظهره ولادته له، وتضمّر غيره.

وفي هذا السياق يمتدج الشاعر القريض/ الشعر ليؤسس من خلاله "فعل/ حدث التقويض"، إذ يبدأ مسار هدم الآخر من خلال التشكيك في ذائقته، ومحدوديّة أفعه، وتواضع تجربته الشعريّة، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

عَمَدَتْ لِشِعْرِي وَلمَ تَنْتَبِ
تُعَارِضُ جَوْهَرَهُ بِالْعَرَضِ
أَضَافَتْ أَسَالِيبُ هَذَا الْقَرِيضِ
أَمْ قَدْ عَفَا رَسْمُهُ فَأَنْقَرَضِ

إن اجتلاب الآخر/ ابن عبدوس لشعر الأنا ومحاولتها معارضته، يمثّل في عُرْف الشاعر انقلاباً ساذجاً، وتحوّلاً طارئاً في علاقتهما، ورغبة جليّة من الآخر في تقويض الذات من خلال التأسيس لصوت شعريّ ينقض صوت الأنا، ويبعثه، ويمارس عليه سياسات الإلغاء والمحو والإزالة؛ ولذا فإن فعلته المشينة هذه -التي تدخل في سياق نظرية المؤامرة/ Conspiracy Theory- تستلزم من الذات النهوض لإعادة تصحيح علاقتها بالآخر، وبناء خطاب تقويضيّ داخليّ، بعدما استوفى ابن زيدون شروط الخطاب التقويضيّ الخارجيّ

إنّ تحركات الآخر وتصرفاته وأفعاله مثّلت في منظور الذات الشاعرة تحوّلاً في رؤيتها، ومعلّماً دالاً على الرغبة في التقويض، حين نزع ابن عبدوس/ الآخر بقوة إلى محاولة تقويض الأنا الشاعرة، وهذا ما بعث الشاعر على رصف الصفات السالبة، ليلحقها بالخصم (الإغارة على الشعر، الخيانة، الغفلة)، وهذه صفات تمثّل علامات ثقافيّة تؤشّر على تمثيلات الاختلاف بين الثقافيّ الذي لن يؤسس انتلاقاً، فالوفاء والنكران -تبعاً لذلك- علامتان "يظهر الفرد من خلالهما انتماءه إلى مجموعة اجتماعيّة" (جيرو، 2016)، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

لَعَمْرِي لَفَوَّقْتُ سَهْمَ النَّضَالِ
وَأَرْسَلْتُهُ لَوْ أَصَبْتَ الْعَرَضِ
وَشَمَّرْتَ لِلْحَوْضِ فِي لُجَّةٍ
هِيَ الْبَحْرِ سَاحِلُهَا لَمْ يُحْضِ

إنّ الأنا والآخر -من خلال هذين البيتين- يمثلان نسقين متضادين، يحاول كلٌّ منها ممارسة التفويض والتفويض المضاد، من خلال محاولة مَحْوِ صوته، وخوض معركة وجودية معه، ينتهي بتصفية صوته، الذي يمثل قناعاً للأنا والآخر على حد سواء، بيد أن نسق الآخر كما ترى الذات الشاعرة ينتهي بالفشل في هذا الاتجاه؛ لأنه لم يحتشد لمنازلة الأنا الاحتشاد الضروري.

ويمكن أن تقرأ هذه الأبيات في ضوء القراءة الثقافية بوصفها تشنيعاً للسلطة الجاهلة، من خلال تصوير ابن عبدوس في صورة الإنسان الغافل والغادر، الذي اندفع للخوض في صراع لم يقدّر مآلاته، ويبدو الشاعر متعلقاً بجدليات التجاور والتجاوز من خلال استعارة البحر نسقاً أنوياً؛ فالآخر يحاول -عبر رغبته التفويضية- إلغاء صوت الشاعر وكيانه، في حين أن الشاعر يتخذ "البحر" قناعاً نسقياً بكل حمولته السيميائية؛ فيشكل "قناع البحر" وسيلة تعزز فكرة الهيمنة الأنوية الممدودة، التي تتفوق على الآخر السلطوي وهيمنته المحدودة.

إنّ خطاب الشاعر المُنفعل تجاه الآخر يشي برغبته في الكشف عن سياسات ابن عبدوس ومحاولته تفويض الذات؛ ذلك بأنّ هذا الاستدعاء -وإن كان يرمي به الشاعر تذكير ابن عبدوس بأفعاله- إلا أنه يريد به كذلك بناء خطاب حجاجي، يبين تهافت رؤيته، وهو ينزع منزعاً تفويضياً يؤكد به أنّ انهيار المنظومة الأخلاقية عند الآخر بات وشيكاً؛ لأنّه غارق في العمى الثقافي، ومدغم في نظرية المؤامرة، التي كشفها الشاعر بذكائه وتبصره، وبدا على وعي تام بها، فقد عقد الشاعر في الآخر آمالاً عريضة، تهاوت أمام انزياح مواقفه عن تصورات الشاعر، إذ لم تكن منسجمة مع رؤاه الفكرية وتطلعاته في حفظ نسق الصداقة.

المدارية الرابعة: تمثيلات الوفاء وطقسية النبذ، وتمثلها الأبيات (25 - 40) (ابن زيدون، 1994):

أبا عامر! عثرة فاستقل	لئبرم من ودنا ما انتفض
ولا تعصم ضلة بالحجاج	وسيم قرب احتجاج دحض
وإلا انتحلتك جبوش العتاب	مناجرة في قضيب وقض
وأنذر خليلك من ماهر	بطب الجنون إذا ما عرض
كفيل بط خراج عسا	جريء على شق عرق نبض
يبادر بالغي قبل الصماد	ويُسعط بالسّم لا بالحضض
وأشعره أني انتحبت البديل	وأعلمه أني استجدت العوض
فلا مشربي لقلاه أمر	ولا مضجعي لنواه أفض

لِعَارِ أَمَاطٍ وَوَصِمِ رَحَضُ
لِإِبَانِهِ وَأَبْحَثُ النَّقْضُ
عَدَوْتُ مُقَارِنَ ذَاكَ الرَّبْضُ

وَإِنَّ يَدَ النَّبِينِ مَشْكُورَةٌ
وَحَسْبِي أَنِّي أَطَبْتُ الْجَنَى
وَيَهْنِيكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي

تتناهَس هذا المدارية على فكرة جلاء صورتين واضحتين لنسقين مُتتافرين: نسق الشاعر الفحل، الذي يتمتع بصفات الإبصار والتعقل والذكاء، فاتجه إلى تمثيل ثقافة الوفاء بوصفها علامة ثقافية- خير تمثيل، فهو لا يبيتُ غدرًا، ولا يغترُّ بالحديث المعسول، ونسق الآخر/ ابن عبدوس، الذي غره حبّ ولادة، فغرق في دوائر التيه والعمّة والخيانة، وكان طبايع الغدر قد انتقلت من ولادة إلى ابن عبدوس

إنّ الشاعر يمارس شعيرة النبذ طقسًا ثقافيًا في مواجهة الآخر، ولا ريب أنّ ثقافة الوفاء وشعيرة النبذ تُمتلآن في فكر الشاعر علامتَيْن سيميائيتين تؤسسان خطابه المضاد؛ ذلك أنّ منطق الآخر يتبنى مسلك الخيانة والتبدل، وهو ما يتنافى مع ثقافة المجتمع التي رسخت متنًا أخلاقيًا يقوم على مفهوم الفحولة ونموذج البطولة

وفي هذا السياق لا يفتأ الشاعر من إنحاء اللائمة على ابن عبدوس؛ إذ يصرُّ على تذكيره بضرورة التفتن، وعدم الركون إلى حب ولادة الخؤون، ويبدو هذا الخطاب تأكيدًا على وفاء الذات، بما يرسمه من صورة سالبة للآخر، وفقًا لمبدأ التضاد، فالشاعر الوفيُّ نسق مضاد لنسق الآخر الغادر الخائن.

إلا أنّ ما يستوقف الباحث في هذا المقام هو إصرار الشاعر على استعادة عرى هذه الصداقة، وهو ما يشي به تأطّفه في الخطاب الذي تعكسه صيغة مصدر المرّة "عُثْرَةٌ" التي سكت فيها الشاعر عن ذكر العامل "عثرت"، غير أنّ مخاللة الخطاب ما تلبث أن تفضح نية الشاعر، حين يجيء هذا الخطاب في صيغة أمرية متعالية، إذ تُجسد الصيغ الأمرية في هذه المدارية النصية مؤشرًا دالًّا على استعلاء هذه الذات السلطوية، فهي قادرة على قلب المفاهيم الثقافية بين الهامش والمركز، فتعيد ترتيبها وفقًا لرؤيتها المختلفة للوجود والموجودات، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

لِنُبْرِمَ مِنْ وُدِّنا ما انْتَقَضُ
وَسَيِّمُ فَرَبِّ احْتِجَاجِ دُجُضُ
مُنَاجِرَةٌ فِي قَضِيضٍ وَقَضُ
بِطَبِّ الْجُنُونِ إِذَا ما عَرَضُ

أبا عامر! عُثْرَةٌ فَاسْتَقِلْ
وَلَا تَعْتَصِمِ ضِلَّةً بِالْحِجَاجِ
وَإِلَّا انْتَحَتِكَ جُبُوشُ الْعِتَابِ
وَأَنْذِرْ خَلِيلَكَ مِنْ ما هِرْ

إن تأطير هذه الأبيات في ضوء القراءة الثقافية يؤكد أن أسلوب النداء الذي أضرب فيه الشاعر عن ذكر الأداة وفسح المجال للمنادى (أبا عامر)، ثم أتبعه بفعل الأمر (استقل) مقترناً بـ (الفاء) المفيدة للعرض والتحضيض، يضمّر -في عمقه الدلالي- نسقاً سيميائياً يرشح بمعاني التوبيخ والتقريع، ذلك بأنّ الود المؤقت الذي تُوحى به مخاطبة الشاعر للآخر بكنيته (أبا عامر) يغدو هجاءً وسخريةً حين يصبح تبصرةً للآخر بضرورة العدول عن الغواية، فالشاعر يطالب الآخر بالعجلة في صناعة بدائل جديدة تعيد الود وتحفظ الوفاء، وهو ما تكشفه جمالية بلاغة الحذف (حذف ياء النداء+ حذف الفعل العامل في المصدر)، فعودة علاقتهما إلى سيرتها الأولى -كما يرى الشاعر- أمرٌ مرهونٌ بالتقاط هذه البدائل والمفاهيم والعلامات الثقافية، بوصفها إطاراً سيميائياً لنسقٍ متسامٍ ينتسب إليه ابن زيدون، ويضمن له الترفع عن الآخر (جيرو، 2016).

وفي هذا السياق ينزع الشاعر إلى توليد أنساق سلطوية جديدة تتوسل بطقسية النبذ/ Ostracism والإزاحة/ Displacement، ومغايرة المواقع وتبادليتها، فيتقدم الشاعر بذلك إلى دوائر المركز، فيظفر بقلب ولادة، في حين أنّ عاشقها / ابن عبدوس ينسحب إلى الهامش.

ويجسد الشاعر قانون النبذ حينما يختار أن يبني خطابه الشعري في مختتم القصيدة على قانون الانتباز والاطّراح، وهو اختيار واعٍ تدعمه إستراتيجية ناجعة في ترسيخ مبادئ اللامبالاة والاستقلالية عن الآخر وعالمه السالب.

ولا يخفى ما في مسلك الانتباز مقترناً بالتأخير، من عملية سيميائية ثقافية تدميرية، أراد بها الشاعر طمس أرشيف العلاقة مع الأنثى المتحولة/ الغادرة، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

وَأَنْذِرْ خَلِيلَكَ مِنْ مَاهِرٍ	بِطَبِّ الْجُنُونِ إِذَا مَا عَرَضُ
كَفَيْلٍ بِيَبْطُ خُرَاجِ عَسَا	جَرِيءٍ عَلَى شَقِّ عَسْرِقٍ نَبِضُ
يُبَادِرُ بِالْكَفِيِّ قَبْلَ الضَّمَامِ	وَيُسِعِطُ بِالسَّمِّ لَا بِالْحَضَضِ
وَأَشْعِرُهُ أَنِّي انْتَخَبْتُ الْبَدِيلَ	وَأَعْلَمُهُ أَنِّي اسْتَجَدْتُ الْعَوْضُ
فَلَا مَشْرَبِي لِقَلَاءِ أَمْرٍ	وَلَا مَضْجَعِي لِتَوَاهِ أَقْضُ
وَإِنَّ يَدَ الْبَيْنِ مَشْكُورَةٌ	لِعَارِ أَمَاطٍ وَوَصْمِ رَحَضُ
وَحَسْبِي أَنِّي أَطَبْتُ الْجَنَى	لِإِبَاتِهِ وَأَبْحْتُ النَّفْضُ
وَيَهْنِيكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي	عَدَوْتُ مُقَارَنَ ذَاكَ الرَّبِضُ

إنَّ الشاعر أمعن في انتخاب النهاية التي تدفع شعائرية النبذ إلى منتهاها؛ ليؤكد اختياره مصارمة ولادة، وتهميشه لهذه العلاقة، وهو ما يتصادى مع فكرة التقديم والتأخير في الثقافة البيانية العربية، فالعربي يُقدِّم في خطابه ويؤخر تبعاً لدرجة الأهمية ومسافتها، فسياق القصيدة يؤكد أن ابن زيدون اختار قانون التأخير، ليعبر عن هامشيَّة ولادة في قلبه ونفسه وشعره، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

وَأَشْعُرُهُ أَنِّي انْتَخَبْتُ الْبَدِيلَ
فَلَا مَشْرَبِي لِقَلَاءِ أَمْرٍ
وَأُعْلِمُهُ أَنِّي اسْتَجَدْتُ الْعَوْضَ
وَلَا مَضْجَعِي لِنَوَاهِ أَقْضَى

إنَّ سيميائية "التقديم والتأخير" ليست بريئة، فقد أحرَّ الشاعر الحديث عن ولادة إلى النهاية؛ ليظلَّ هذا التأخير راسخاً في جوانب المتلقي ووعيه، فمقصديَّة القصيدة، وإن كانت قد انطلقت في مفتحتها فإنها قد استوتت في مختتمها، يقول الشاعر (ابن زيدون، 1994):

وَأَنَّ يَدَ النَّبِينِ مَشْكُورَةٌ
وَحَسْبِي أَنِّي أَطْبَبْتُ الْجَنَى
لِعَارِ أَمَاطٍ وَوَصْمِ رَحَضٍ
لِلْبَانِهِ وَأَبْحَثُ النَّفْضَ

إنَّ هذا البيت ينطوي على مفارقة حادة، حين يصبح البين/الفراق أمراً مشكوراً محموداً مطلوباً ينفض به الشاعر يده من تبعات العلاقة مع ولادة، التي لا ترعى ودًا ولا ذمًا، فهذا التخلي والنبذ الذي تبناه الشاعر في علاقته معها، يكشف عن ذكائه وفطنته واكتمال فحولته؛ ذلك بأنَّ الشاعر استطاع، بخلاف ابن عبدوس، أن يكتشف حقيقة ولادة، لأنه يصدر عن أفق رؤيوي، يتحسس عواقب الأمور، ويتفرد بالامتلاء والفحولة والعفة عن المغانم.

تركيب:

لقد شكلت ضاديَّة ابن زيدون -بوصفها نصًّا أيديولوجيًّا- يتخذ العتاب حيلة نسقيَّة في بناء خطاب مضاد، عبر لوم الآخر، ومخاتلته، وتقريع، وتقويض عالمه الزائف، وتبيان حقيقة جهله وغفلته، وادعائه، فتبدو هذه القصيدة -وفقاً لذلك- كونا سيميائيًّا يقام أسه على إضمار المخاتل وتخيب أفق التوقُّع

وقد بيَّنت هذه القراءة أن ابن زيدون أقام في القصيدة مقصدية تقويض الآخر/ ابن عبدوس، وهدم عالمه السلطوي، ومن يتعالق به ولا سيَّما ولادة، فالشاعر قلب معادلة المركز والهامش، حين أكَّد أنه ينتمي إلى ثقافة عالمة، وسلطويَّة، لا يعجزها تقويض الآخر، متخذاً من مفاهيم متوالدة ومتعاقبة من قبيل الوفاء والتقويض والقناع والنبذ والإزاحة والتمركز والاستحواذ علامات ثقافيَّة وأنساقاً سيميائيَّة، ترتبط بمسيرة الذات الشاعرة في مواجهة الآخر.

وهكذا كشفت الدراسة عن حقيقة مؤداها أنّ القصيدة العربية ما زالت بحاجة إلى قراءة ثانية جديدة، تتوسّل مناهج النقد الحديث، ونظريات ما بعد الحداثة، ومنجز الدراسات الثقافية، فتنسج قراءة أفضاً معرفياً يتجاوز المعهود المألوف في النقد العربي الكلاسيكي حول التراث الشعري العربي

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية:

- أنغ، إين (2009). النقد الثقافي وتداخل الحقول المعرفية الآن (ترجمة عطار حيدر). مجلة اتحاد الكتاب العرب، 34 (138)، 60-71.
- اشكروفي وجرفيث وتيفين (2006). الرد بالكتابة: النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة الإمبراطورية ترد بالكتابة (ترجمة شهرت العالم). المنظمة العربية للترجمة.
- إيغلتن، تيري (1990). نظرية الأدب (ترجمة ثائر ديب). منشورات وزارة الثقافة.
- البازعي، سعد (2013). الدراسات البيئية وتحديات الابتكار. مجلة كلية الآداب، 20 (2)، 221 - 230.
- بريمي، عبدالله (2018). السيميائيات الثقافية: مفاهيمها وآليات اشتغالها. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- بنكراد، سعيد (2012). السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها. دار الحوار للنشر والتوزيع.
- بنكراد، سعيد (2018). سيميائيات النص: مراتب المعنى. دار الأمان.
- جيرو، بير (2016). السيميائيات: دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية (ترجمة منذر عياشي). دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.
- حسن، نجلاء سعد (2020). نظرية الألعاب والتحليل الأدبي: الآفاق والتحديات. مجلة ألف الشعر المقارن، (40)، 247-265.
- حمودة، عبد العزيز (2003). الخروج من التّيه: دراسة في سلطة النصّ، سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (298).
- دريدا، جاك (2003). حمّى الأرشيف الفرويديّ (ترجمة عدنان حسن). دار الحوار للنشر والتوزيع.
- ابن زيدون، أحمد بن عبد الله المخزومي (1994). ديوانه (شرح يوسف فرحات). مكتبة نهضة مصر.
- السعودي نزار (2022). تفاعل النقد الثقافي مع المناهج النقدية والمعارف المتعددة: قراءة لأهم المفاهيم الرئيسة. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 14 (2)، 209-237. <https://doi.org/10.36394/jhss/14/2/7>
- سيمنكو، أليكسي (2017). الثقافة بوصفها نصّاً: مدخل إلى النظرية السيميائية عند يوري لوتمان (ترجمة سمر طلبة). فصول، (99)، 279 - 302.
- الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (1997). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (تحقيق إحسان عباس). دار الثقافة.

صمود، حمادي (1990). المركز والهامش في الثقافة العربية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس.

عليمات، يوسف (2021). ثقافة النسق: تجليات الأرشيف في الشعر العربي القديم. الدار الأهلية للنشر والتوزيع.

عليمات، يوسف (2021). جماليات التحليل الثقافي: اعتذاريات النابغة الذبياني نموذجًا. مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 35 (1)، 65-99. <https://doi.org/10.34120/ajh.v37i146.2739>

عليمات، يوسف (2019). شعريّات التوتّر: تمثّلات الزّمن في قصيدة عبد يغوث الحارثيّ. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 37 (146)، 233-258.

الغذاميّ، عبدالله (2002). التقد الثقافيّ: قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة. المركز الثقافيّ العربيّ. لوتمان وأوسبنسكي، يوري وبوريس (1987). حول الآلية السيموطيقية للثقافة (ترجمة عبد المنعم تليمة في سيزا قاسم وتحرير نصر حامد أبو زيد). أنظمة العلامات: مدخل إلى السيموطيقا (ط. 1). ص. 293-316. دار إلیاس العصرية.

لومان، نیکلاس (2010). مدخل إلى نظريّة الأنساق (ترجمة يوسف فهمي حجازي). منشورات الجمل. محسن، عيسى خليل (2007). أمراء الشعر الأندلسي. دار جرير.

يوسف، عبدالفتاح أحمد (2010). سيميائيات الثقافة وتحليل الخطاب: سيموزيس السّلطة والذات في خطاب الإشادة. مجلة فصول، 91-92 (1)، 265 - 298.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية:

- Abrams, M. H. (1999). *A Glossary of Literary Terms/ Seventh*, Harcourt Brace College Publishers.
- Berge A. A. (1995). *Cultural Criticism: A Primer of Key Concepts*, California: Sage Publications. <https://doi.org/10.4135/9781452204734>
- Buelens, G., & Durrant, S., & Eaglestone, R. (2014). *The Future of Trauma Theory: Contemporary Literary and Cultural Criticism*, London: Routledg. <https://doi.org/10.4324/9780203493106>
- Harma, T. (2014). The semiotics of power: Corrupting sign systems in contemporary American Exceptionalism and in Bret Easton Ellis's American Psycho and Don DeLillo's Cosmopolis. *European Journal of American Culture*, 33 (3). https://doi.org/10.1386/ejac.33.3.195_1
- Lorusso, A. M. (2015). *Cultural Semiotics: For a Cultural Perspective in Semiotics*, NewYork: Palgrave Macmillan US. <https://doi.org/10.1057/9781137546999>

- Lotman, J., & Tamm, M. (1995). *Culture, Memory and History: Essays in Cultural Semiotic*, Translated from the Russian by Brian James Baer, New York: Palgrave Macmillan.
- Semenenk, A. (2012). *The Texture of Culture: An Introduction to Yuri Lotman's Semiotic Theory*, U.S.A: Palgrave Macmillan. <https://doi.org/10.1057/9781137008541>

Romanized Arabic References: الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية:

- al-mrāj' bi-l-lughati al-'arabiyati
- āngh 'īn (2009). al-naqdu al-thaqāfiyu watadākhulu alḥuqūli almi'rifayi al'āna (tarjamata 'uṭāridi ḥaydara mijalatu atihādi alkutābi al'arabi 34 (138), 60-71.
- ashkrwfīt wajarīfith watuyfina (2006). al-radu bi-l-kitābati al-naẓariyatu wa-l-taṭbiqū fī ādābi almusta'amriāt alqadīmati al'imbariṭawurya turadu bi-l-kitābati (tarjamata shaharat al'ālama almunazāmatu al'arabiyatu lil-tarjamati
- 'ghltnw tīrī (1995). naẓariyatu al'adabi (tarjamata thā'ir dib munshawarīt wizārati al-thaqāfati
- albāzi'iyu sa'dun (2013). al-dirāsātuālbayniya#ū'ataḥadīātuāliābtkārī mijalatu kuliyati al'ādābi 25 (2), 221 - 230.
- brymī 'bdāllh (2018). al-sīmīā'tātu al-thaqāfiyati mafāhīmuhā wa'ālīātu ashtighālīhā dāru kunūzi alma'rīfati lil-nashri al-tawzī'i
- binikrād sa'dīn (2012). al-sīmīā'tātu mafāhīmuhā watīṭabyaquāthā dāru al-ḥiwārī lil-nashri wa-l-tawzī'i
- binikrāda sa'dīn (2018). sīmīā'tātu al-naṣi marātibu alma'nā dāru al-'āmāni
- jayrū byyr al-sīmīā'tātu dirāsatu al-'ānsāqi al-sīmīā'iyati ghayri al-lughawiyati (tarjamata mundhirin 'ayāshīn dāru nīnawā lil-dirāsāti wa-l-nashri wa-l-tawzī'i
- ḥasanun najlā'a sa'dīn (2020). naẓariyatu al'al'ābi wa-l-taḥlīli al'adabī al'āfāqu wa-l-tuḥadyāat mijalatu 'alfi al-shī'ri almuqārīni (40), 247-265.
- ḥumawdatu 'abdi al'azīzi (2003). alkhurūju mina al-tīhi dirāsaton fī sulṭati al-naṣi silsilatu 'ālami alma'rīfati almajlisu alwaṭaniyu lil-thaqāfati wa-l-funūni wa-l-'ādabi (298).
- dirīdā jāka (2003). ḥimā al-'arshīfi alfurūdi (tarjamata 'adnāna ḥasan dāru alḥiwārī lil-nashri wa-l-tawzī'i
- abnu zaydūnin 'aḥmadu bnu 'abdi al-lahi almakhzūmiyu (1994). dīwānuhu (farḥi yūsufa farahāti maktabatu nahḍati miṣra
- al-su'udī nzār (2022). tafā'ulu al-naqdi al-thaqāfi ma'a al-mnāhj al-naqdiyati wa-l-ma'ārifi almuta'adidati qirā'atun li'ahami almafāhīmi al-ra'sati mijalatu jāma'a al-shāriqati lil-'ulūmi

- al'insāniyati wa-l-iājtīmā'īya#i- 14(2), 209-237. <https://doi.org/10.36394/jhss/14/2/7>
- symnkw 'alyksy (2017). al-thaqāfatu biwaṣṣihā naṣā madkhalun 'ilā al-naẓariyati al-sīmīā'iyati 'inda yūrā liwtmān (تَرْجَمَةٌ) samri ṭalibata fuṣūlu (99), 279 - 302.
- al-shinturayniyu 'abū al-ḥasani 'aliyu bnu basāmin (1997). al-dhakhīrati fī maḥāsini 'ahli al-jazīrati (تَحْقِيقٌ) 'iḥsāni 'abāsin dāru al-thaqāfati
- ṣamūdun ḥamādī (1995). almarkazu wa-l-hāmishu fī al-thaqāfati al'arabiyati kuliyatu al'ādābi wa-l-'ulūmi al'insāniyati jāmi'atu ṣafāaḥsa
- 'alimāt yūsf (2021). thaqāfatu al-nasaqi tajalīāti al-'ārshīfi fī al-shi'ri al'arabī alqadīmi al-dāru al'ahliyatū lil-nashri wa-l-tawzī'i
- 'alimāt yūsf (2006). jamālīāti al-taḥlīli al-thaqāfi a'tidhārīāti al-nābighati al-dhubyānī nmwdhjā mijalatu 'ālamī alfikri almajlisi alwaṭaniyu lil-thaqāfati wa-l-funūni wa-l-'ādābi 35 (1), 65-99. <https://doi.org/10.34120/ajh.v37i146.2739>
- 'alimātu yūsufa (2019). sh'rāt al-tawaturu tamathulātu al-zamani fī qaṣidati 'abdi yaghūtha alḥārithī almajalatu al'arabiyatu lil-'ulūmi al'insāniyati 37 (146), 233-258.
- al-ghidhāmiyu 'bdāllh (2002). al-naqdu al-thaqāfiyu qirā'atun fī al-'ānsāqi al-thaqāfiyati al'arabiyati almarkazu al-thaqāfiyu al'arabiyu
- lūtmān wa'aūsbinsky yūri wabūris (1686). ḥawla al-'āliyatī al-sīmūṭiqiyati lil-thaqāfati (tarjamata 'abdi almun'imi talīmata fī sīzā qāsīmīn wataḥrīru naṣri ḥāmidīn 'abū zaydin 'anzīmatu al'alāmāti madkhalun 'ilā al-sīmīyawṭīqāṭ ṣ ṣ- dāru 'ilyāsa al'aṣriyatū
- lawmān nīklās (2010). madkhalun 'ilā naẓariyati al-'ānsāqi (tarjamata yūsufa fahmī ḥijāzīn manshūrati aljamali
- muḥsinun 'īsā khalīlīn (2007). umarā'u al-shi'ri al'andalusī dāru jarīrin
- yūsufu 'ubdālīfātḥ 'aḥmada (2015). sīmīā'tātu al-thaqāfati wataḥlīli al-khiṭābi sīmīwzīsu al-sulṭatu wa-l-dhātu fī khiṭābi al-'ishādati mijalatu fuṣūlin (91-92), 265 - 298.

The Dialectics of Structure and the Semiotics of Culture: A cultural reading of Dhadiyat by Ibn Zaydun

Amer Salman AbuMharib⁽¹⁾

Abstract:

This reading attempts to reveal the textual hypostases and systemic keys underlying the structures of Dhadiyat (Rhyme of Dhad) by Ibn Zaydun, as a cultural text and an evasive poem. It uses admonition as a systematic ploy to construct the ideological background that frames the poet's thought. The course of this reading was confined to two synergistic axes. The first is a conceptual axis that theorizes cultural criticism and cultural semiotics in the light of contemporary critical theory. The second is a procedural path that reveals the cultural systems and their semiotic signs in the studied poem, as the poetic discourse in this lyrical work represents a blatant expression of the human experience the poetic persona undergoes while confronting the authoritarian other. The poetic text is kind of response through writing, disclosure, and resistance, as elucidated in the article's four sections. The first section addresses egocentrism and the rhythms of challenge (1 - 9). The second section deals with evasive discourse and deceptive admonition (10-19). The third section draws on the ego and the undermining of the other (20-28), while the fourth tropic focuses on the representations of loyalty and the ritual of ostracism (29 - 40).

Keywords: Cultural Semiotics, Cultural Criticism, Ibn Zaydun, Dhadiyat Ibn Zaydun.

(1) College of Arts - The Hashemite University (Zarqa - Jordan)
amersalman95@yahoo.com